"البعد القومي في حركات النضال والتحرر الوطني بين المشرق العربي والمغرب العربي"

عمر صالح العمري(*)

الملخص

تناولت هذه الدراسة البحث في موضوع البعد القومي في قضايا النضال والتحرر الوطني بين جناحي الوطن العربي " مشرقه ومغربه" في الفترة ما بين قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914 م وحتى حصول آخر قطر عربي من أقطار المغرب العربي على استقلاله " الجزائر" 1962 م. وقد استند ذلك البعد إلى روابط متينة كاللغة والدين والتاريخ المشترك والقومية العربية ووحدة الآمال والأهداف، وأكدته المواقف القومية من قضايا الوطن العربي النضالية والتحررية وخاصة فيما يتعلق برفض التجزئة والاستعمار بكافة أشكالهما، ومجابهة التحديات والمصير المشترك، حيث لم يعش أحد جناحي الوطن العربي أية قضية بمعزل عن الجناح الآخر تأثراً وتأثيراً، قاسمهما المشترك الدفاع عن حرية الأمة واستقلالها وحقها في الوحدة والتقدم والعيش بسلام.

The National Dimention of National struggle and liberation movements in the Eastern and Western Parts of the Arab world (1914 – 1962)

Omar S. al- Omari

Abstract

This Study examined the national dimension of national struggle and liberation in the Arab world " its eastern and wastern parts" in the period between the first world war and until Algeria, gained its independence in 1962, which was the last Arab country to gain independence. That dimension is based on strong links such as religion, history, language, Arab nationality as well as the unity of Aspirations and goals, and was asserted in Arab Attitudes and stances toards struggle and liberation Arab movements, and in the rejection of Partition and colonization in all their aspects, and facing common challeages and common challeages and conmon destiag. Neither the wastern part the eastern part of the Arab world ever faced any issue without the other being affected or affecting.

تمهيد:

يرتبط المشرق العربي والمغرب العربي بروابط دينية وقومية متينة، كوحدة اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد المشتركة التي تؤثر في أمزجتهم وأخلاقهم وسلوكهم التاريخي، وترسم بالتالي أهدافهم وأمانيهم القومية.

فالمبادلات واللقاءات بين جناحي الوطن العربي سبق ظهور الإسلام، كما سبق وصول الجيوش العربية الأولى إلى المغرب، حيث كانت تلك المبادلات واللقاءات تتم بصورة متبادلة، وعلى مختلف المكونات الاجتماعية، وبصورة أكثر تفصيلا يمكننا القول أنها كانت بين البربر والفنيقيين، وبين القبائل البدوية البربرية، وقبائل داخل مصر[1].

والعلاقة بين المغرب العربي والمشرق العربي علاقة عريقة ترجع أيضا إلى الحروب الصليبية التي ساهم المغاربة مع إخوانهم عرب المشرق في مقاومة المد الصليبي في فلسطين[2].

وفي القرن التاسع عشر شرع الاستعمار الفرنسي في بسط نفوذه على الجزائر وتونس ثم المغرب الأقصى في مطلع القرن العشرين[3]، وقد شهدت بلاد الشام منذ منتصف القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين استقبال العديد من موجات الهجرة الجزائرية جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر[4].

ولم يكن نضال المغرب العربي بمعزل عن الكفاح الذي كانت تعيشه الأمة العربية، حيث تصاعدت مقاومة الاستعمار وألهبت مشاعره القومية، وأصبحت قضية أي قطر عربي هي قضية العرب كلهم[5].

أولاً: قضايا التحرر والاستقلال

اتخذ العمل السياسي في المغرب العربي خلال مرحلة الكفاح من اجل الاستقلال طابعا خاصا كان يقوم على ركيزتين، أولهما: تحديث الفكر الديني ونشر الوعي العربي عن طريق إنشاء مدارس عربية وحديثة ذات ارتباط بحركة التحرر والوحدة في المشرق العربي. وثانيهما: تكريس فكرة الاستقلال مع التأكيد على استعادة الروابط العضوية مع المشرق العربي. [6]

وقد أثار نضال المغرب العربي خلال مرحلة الكفاح من اجل الاستقلال الروح القومية في المشرق العربي، وعليه فإن القضايا المرتبطة بالنضال ضد الاستعمار سرعان ما كانت تجد لها صدى واسعا واستجابة حماسية في مختلف أرجاء الوطن العربي[7].

ومنذ أواخر العشرينات أخذت روح الحركة العربية تنتشر في بلدان المغرب

العربي عن طريق الكتب والصحافة والطلبة الذين تخرجوا من معاهد مصر وسورية أو الذين تعرفوا في أوروبا برفاقهم في المشرق العربي، أو عن طريق أسفار الحجاج أيضا، الأمر الذي كان له أثره على مجرى الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي[8].

ولما كانت معركة المغرب الحقيقية هي معركة اللغة العربية، فقد ألح الإستعمار إلحاحا غريبا لاستئصال شأفة اللغة، كما تنبهت الزعامات الوطنية في المغرب العربي لمخاطر ذلك، وعملوا على توثيق الصلة بين أقطارهم وأقطار المشرق العربي لمواجهة سياسة التذويب القومي[9].

وقد شاركت أقطار المشرق العربي وخاصة مصر والعراق وسوريا مشاركة فعّالة في دعم حركات النضال في المغرب العربي، وكان دور الحركة القومية العربية في سوريا بجميع أحزابها وتنظيماتها بارزا في تأييد هذا النضال سواء كان ذلك من حزب البعث، أو حركة القوميين العرب، أو المنظمات الشعبية والنقابية أو العناصر المستقلة[10].

وشاركت بلدان أخرى عربية مثل الكويت في دعم هذا النضال، ووقف الشعب العربي كله من المحيط إلى الخليج فخورا بنضال المغرب العربي مباهيا بصموده واستبساله دفاعا عن حريته وأهدافه، بل دفاعا عن حرية الأمة كلها، وحقها في الوحدة والتقدم[11].

وقدّمت مصر جيشا وحكومة وشعباً دعماً مطلقاً لحركات النضال في المغرب العربي، وتعرضت بسبب مواقفها المعادية للاستعمار الفرنسي إلى التهديد والوعيد، ولعدوان ثلاثي؛ كان دعم مصر الكبير للثورة الجزائرية ومدها بالسلاح أحد أهم أسباب ذلك العدوان[12].

وكان لصدور الظهير البربري والحوادث التي أعقبته الأثر الكبير في زيادة الاهتمام بقضايا النضال في المغرب العربي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ إذ عم الاستياء والسخط الشديدين هذا العالم من أقصاه إلى أقصاه، وخاصة المشرق العربي[13].

ففي مصر اظهر الشعب حماسا كبيرا للدفاع عن المغرب العربي وتضامنا معه، ولعبت الصحافة دوراً كبيراً في فضح أساليب السياسة الفرنسية في المغرب العربي، فكثرت الاجتماعات، ووجهت الاحتجاجات والبرقيات والمذكرات إلى المسؤولين الفرنسيين في المفوضة الفرنسية في القاهرة، وإلى المسؤولين في باريس، ووجهت النداءات إلى ملوك ورؤساء العرب المسلمين مستغيثة، وحاثة على القيام بمناصرة المغاربة في مقاومتهم السياسة الفرنسية[14]، وكان لعلماء مصر وأحررها مساهمة فعالة في مقاومة المخططات الفرنسية إزاء هذه المسألة. كما لعبت مصر

دوراً قومياً هاماً في دعم ومناصرة حركات التحرر والنضال في المغرب العربي بكافة الوسائل والسبل المادية والمعنوية. ففي القاهرة تشكلت لجنة تحرير المغرب العربي حيث انتقل إليها الزعيم الوطني علال الفاسي ليتخذها مقراً للتخطيط وتنظيم المقاومة للاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، كما تفاعل الشعب المصري بكافة أطيافه مع قضية إبعاد الملك محمد الخامس عن الحكم، حيث عمت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية كافة المدن المصرية[15]. ورغم أن مصر كانت خاضعة للاحتلال، إلا أنها قدمت مساعدات كبيرة لليبيا حيث أمدتها بالأموال والسلاح لمقاومة الاستعمار الايطالي دفاعا عن حق الشعب الليبي في الحرية والاستقلال كما تطوع الكثير من المصريين في صفوف المقاومة الليبية[16]. وعندما اندلعت الثورة الجزائرية في نوفمبر (1954)م[17]، كانت القاهرة مقراً لانطلاقها حيث سارع الرئيس جمال عبد الناصر الذي حملت ثورته شعار "دعم وتحرير العالم العربي" إلى دعم ومناصرة نضال الشعب الجزائري في كفاحه العادل ضد المحتل الفرنسي بكل الوسائل والإمكانات المتاحة كالرجال والمال والسلاح، كما فتح الرئيس ناصر أبواب الكلية الحربية في القاهرة من أجل تدريب القادة والمقاتلين الجزائريين. كما قامت المخابرات المصرية بتسهيل وتأمين هذه الكوادر البشرية المدربة إلى الجزائر، وكذلك تأمين دخول الأسلحة عبر ليبيا وتونس إليها. حتى أن إحدى السفن المصرية المحملة بالأسلحة وصلت إلى الثوار الجزائريين في 1956/10/16م في نفس الوقت الذي كان مجتمعا فيه أنتوني إيدن وجون موليه وديفيد بن غوريون في ضاحية سيفر قرب باريس للتخطيط والتآمر لشن العدوان الثلاثي على مصر[18].

ومن مظاهر الدعم المصري للثورة الجزائرية أيضا الدور السياسي والدبلوماسي الكبير الذي لعبته مصر في شرح أبعاد القضية الجزائرية وإيصال الصوت الجزائري إلى المؤتمرات والمحافل الدولية والأمم المتحدة. ففي عام 1955م نجحت مصر في تدعيم مشاركة وفد جبهة التحرير الوطني الجزائرية في فعاليات مؤتمر باندونغ الأمر الذي مكّن الثورة الجزائرية من تحقيق عددٍ من المكاسب كان أبرزها تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية والحصول على مساعدات مادية للثورة الجزائرية والتأكيد على شرعية وعدالة المطالب الجزائرية. كما احتضنت القاهرة ولادة أول حكومة جزائرية مؤقتة عام 1958م، ونجحت في عام 1960م في إصدار قرار من الأمم المتحدة يؤكد حق الشعب الجزائري في الاستقلال. وقد تعرضت مصر نتيجة مساندتها ودعمها للثورة الجزائرية للكثير من الضغوطات وخاصة من قِبل القوى الإمبريالية التي رأت في التعاون والتنسيق المصري الجزائري تهديدا لمصالحها في المنطقة العربية؛ حيث كان العدوان الثلاثي على مصر إشارة واضحة لوضع حد للدعم المصري للثورة الجزائرية[19].

أما الأردن، فقد لعب دورا هاما في دعم ومساندة القضية الجزائرية على

الصعيدين الرسمي والشعبي. فعلى الصعيد الرسمي ساند الملك حسين وحكوماته المتعاقبة الثورة الجزائرية وذلك من خلال دعم ورعاية الكثير من المؤتمرات وحملات التبرعات والمهرجانات الرسمية والشعبية، وكذلك مساندة القضية الجزائرية على الصعيدين العربي والدولي في إطاري الجامعة العربية والأمم المتحدة وسرعة الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة والسعي إلى حل سلمي وعادل لهذه القضية. كما تفاعل مجلس النواب الأردني مع أحداث وتطورات القضية الجزائرية منذ اندلاع الثورة وحتى الاستقلال 1962م. (20)

وعلى الصعيد الشعبي ساند الشعب الأردني بكل فئاته الأخوة الجزائريين في ثورتهم المقدسة عبر الاحتجاج الصارخ على السياسة الفرنسية التي انتهجتها في قمع الثورة، كما أقيمت في مختلف المدن الأردنية العديد من المهرجانات والمؤتمرات الشعبية والمظاهرات والإضرابات والاتصالات السياسية والدعوات لمقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً وثقافياً. كما لعبت الصحافة الأردنية دوراً هاماً في دعم ومناصرة القضية الجزائرية من خلال شرح القضية الجزائرية عبر صفحاتها، والتنويه بالثورة وتبرير شرعية وجودها ونقل أخبارها وتعريف الرأي العام الأردني بأبعادها. وقد لعبت الأحزاب الأردنية دورا هاما في تفاعلها مع أحداث وتطورات القضية الجزائرية من حيث إثارة الرأي العام والشارع الأردني والدعوة لمساندة الثورة بكل السبل والوسائل الممكنة. كما تفاعلت النقابات والاتحادات والجمعيات واللجان الشعبية مع أحداث وتطورات القضية الجزائرية وساهمت في دعم ومساندة هذه القضية على الصعيدين المادي والمعنوي. وقد لعبت المرأة الأردنية دوراً هاما في دعم ومساندة القضية الجزائرية من خلال مشاركتها بالمهرجانات والمؤتمرات الشعبية وحملات التبرعات وإرسال البرقيات الاحتجاجية(21).

وفي العراق أصدر علماء العمارة والنجف الأشرف احتجاجا على صدور الظهير البربري. كما كان العراق في مقدمة الدول التي اعترفت بحكومة الجزائر المؤقتة 1958م بعد إعلانها، كما رحب بالبعثات الجزائرية موفراً إمكانية القبول للطلبة الجزائريين من حيث التعليم والدراسة في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية. واحتلت القضية الجزائرية وثورتها صلب اهتمام النضال الوطني العراقي المتمثل بالدعم المادي والمعنوي للثورة الجزائرية، كما تفاعل الشعب الجزائري بمختلف أطيافه مع أحداث وتطورات القضية الجزائرية وتقديم كل السبل والإمكانات المتاحة مادية ومعنوية للشعب الجزائري في مقاومته للاستعمار (22).

أما المملكة العربية السعودية فقد تركز دعمها لاستقلال أقطار المغرب العربي على توظيف علاقاتها الجيدة مع الكثير من الدول الغربية والآسيوية لدعم استقلال تلك الأقطار وعلى مساندة ودعم ومساندة مطالب المغاربة في هيئة الأمم المتحدة من خلال الحصول على تأييد البعثات الدبلوماسية فيها، وعلى مشاركة دول الجامعة

العربية لدعم استقلال أقطار المغرب العربي مادياً وسياسياً وإعلامياً. كما ساندت المملكة العربية السعودية ملكا وحكومة وشعبا نضال الشعب الجزائري في معركة الحرية والاستقلال منذ انطلاق ثورتها 1954م ودعمها بكل الوسائل والسبل الممكنة في كافة المجالات مادية، سياسية، عسكرية، وإعلامية. وعلى الصعيد الدولي قدّم وفد المملكة العربية السعودية مذكرة إلى رئيس مجلس الأمن بشأن الأوضاع الخطيرة في الجزائر فاضحا أساليب القمع والاضطهاد الفرنسي للشعب الجزائري، ودأبت المملكة طيلة سنوات الثورة على تقديم المساعدات للمناضلين الجزائريين حتى الاستقلال عام 1962م. كما قدّم الملك عبد العزيز آل سعود كل الدعم والإمكانات المادية الممكنة للحركة الوطنية التونسية في نضالها المشروع ضد الاستعمار الفرنسي في معركة الحرية والاستقلال[23].

وبرز الأمير شكيب ارسلان الذي خدم المغرب خدمة تسجل بمداد الذهب، وجعل همه استنكار ما قامت به السلطات الفرنسية بإصدارها الظهير البربري، ففتح صفحات مجلته "الأمة العربية" التي كان يصدرها في سويسرا باللغة الفرنسية للتعريف بالقضية البربرية، وكتب المقالات في الصحف العربية وخاصة المصرية، واتصل بالشخصيات العربية والأجنبية موضحا الأخطار التي يتعرض لها المغرب إذا ما طبقت السياسة الفرنسية، ومطالباً بتأييده ومناصرته، وموجهاً الرسائل والنداءات في هذا الصدد إلى العديد من القادة والزعماء المغاربة[24].

ولم يكتف ارسلان بمهاجمة السياسة الفرنسية بل هاجم عددا من المسؤولين المغاربة لتأييدهم البربرية، كما نصح مسلمي العالم بعدم الاكتفاء بإرسال الإستنكارات والإحتجاجات إلى الصحف والحكومات العربية، بل والمطالبة بضرورة إرسالها إلى عصبة الأمم والدول الكبرى، والحكومة الفرنسية وبرلمانها، وقطع العلاقات الاقتصادية مع فرنسا[25].

واعتبر شكيب ارسلان القضية البربرية قضيته الأولى في الحياة، فهو لا يكتب ويحرر الرسائل فحسب، ولكن يخطط لمقاومة هذه السياسة، "ويقيم الدنيا ويقعدها" ضد الفرنسيين الذين أرادوا الكيد بالشعب المغربي[26]. كما لعب أرسلان دورا كبيرا في نشر الأفكار الوحدوية العربية في أقطار المغرب العربي، حيث كان رئيسا للجنة السورية الفلسطينية التي تأسست عام 1921م. وقد عمل أرسلان على توطيد العلاقات مع زعماء حركات النضال القومي في المغرب العربي مثل الثعالبي زعيم الحركة الدستورية في تونس ومصالي الحاج رئيس جمعية شمال أفريقيا، كما وطد صلاته مع زعماء الحركات القومية في المغرب الأقصى الذين عملوا ضد الظهير البربري، كما عمل أرسلان مرشدا لأعضاء لجنة العمل المغربية[27].

ثانياً: القضية الفلسطينية

ومن جهة أخرى كانت فلسطين مع المغرب العربي في محنته لدى صدور الظهير البربري، فكتبت الصحافة الفلسطينية المقالات المعبرة عن تضامنها ومستنكرة ما أقدمت عليه فرنسا من مقاومة للدين وفصل للشعب المغربي عن أمته الإسلامية، كما أن المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يرأسه الحاج أمين الحسيني كتب الرسائل بهذا الصدد إلى الحكومة الفرنسية، والقنصل الفرنسي في القدس محتجا باسم الشعب العربي الفلسطيني على ما تقوم به السلطة الفرنسية من تقسيم للمغاربة ومحاولة تنصير إخوانهم البرابرة[28].

وشارك عرب المشرق العربي إخوانهم الجزائريين في المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي عقد في السابع من يونيو 1936م في الجزائر، كالأمير شكيب ارسلان الذي كان أحد دعاة هذا المؤتمر حيث كان أول تجمع من نوعه، وجاء نتيجة للمؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس عام 1931م[29].

ولعبت القضية الفلسطينية دورا هاما كعامل تجمع قومي بين المشرق العربي والمغرب العربي، وأسهمت في بلورة المشاعر القومية في الوطن العربي، نظرا للمكانة الدينية والتاريخية والجغرافية التي تحتلها فلسطين، والأطماع الصهيونية التي جاءت تحديا مباشرا للفكرة العربية، وحاجزا في وجه الوحدة العربية، بل وقاعدة أساسية لترسيخ التجزئة في المنطقة العربية، والتقت الحركة الوطنية الفلسطينية مع القوى الوطنية العربية التي تعمل على تحرير بلادها من الوجود الأجنبي، حيث تعتبر الصهيونية اخطر أشكاله في المنطقة[30].

وقد تضامن المغرب العربي التضامن الكامل مع القضية الفلسطينية التي اعتبرها قضيته، ووقف إلى جانب إخوانه المجاهدين يشد أزرهم ويذود عن حماهم حتى تحرير فلسطين من قبضة الصهيونية[31]. وأثارت أحداث الثورات العربية المجاورة اهتماما عاما في فلسطين، وبالمقابل أثارت أحداث فلسطين وانتفاضاتها اهتماماً عربياً عاماً، وكان للإعتداء الصهيوني على حائط البراق 1929م صدى واسع في أقطار المغرب العربي[32]، واحتج المغرب العربي على مساندة سلطات الانتداب البريطاني لليهود في هذا الاعتداء[33].

وقامت المظاهرات ونظمت حملات التبرعات في معظم أنحاء الوطن العربي بشقيه المشرق والمغرب، وأثمرت جهود الحركة الوطنية لإثارة اهتمام العالمين العربي والإسلامي بالقضية الفلسطينية إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس في كانون الأول عام 1931م، تقرر فيه إعلان خطورة تلك القضية واستنكار السياسة البريطانية الصهيونية، ورفض الاستعمار بمختلف صوره وأشكاله والدعوة لضرورة مواجهته بكل الوسائل المتاحة[34].

وقد شارك في هذا المؤتمر عدد من الزعماء السياسيين في المغرب العربي[*]

كان أبرزهم الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي الذي كان همزة الوصل بين مغرب الوطن العربي ومشرقه، وأحد الأقطاب الذين قاموا بالتحضير للمؤتمر، ووضع نظامه والسهر على نجاحه، واكد في كلمته التي ألقاها في هذا المؤتمر على أهمية العمل الإسلامي الثقافي لمواجهة الغزو الثقافي الأجنبي والدعوة إلى الإصلاح واليقظة العربية[35].

وقد صدر عن المؤتمر تقرير موقع باسم اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب أشارت فيه إلى أخطار السياسة الفرنسية، وكان عنوانه: "فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى" أوضحت فيه السياسة الفرنسية في المغرب العربي[36].

وبتزايد الوجود الصهيوني في فلسطين، زاد الاهتمام العربي بتطور الأوضاع فيها، وخاصة اثر قيام ثورة 1936م، حيث بدأت الجمعيات والمنظمات في جميع أنحاء الوطن العربي حملة نشطة لتعبئة الدعم الشعبي لعرب فلسطين، واتخذ العطف شكل مظاهرات احتجاجية واضطرابات ونداءات وجمع التبرعات[37].

وفي أبريل 1937م، عقد الحزب الوطني المغربي مؤتمره السنوي الذي كان ابرز قراراته: تشكيل لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة- حيث بذلت اللجنة مجهودات كبيرة في العمل على لفت نظر الرأي العام المغربي للمخطات الصهيونية على العروبة كلها- وإذاعة منشورات اللجنة العربية العليا، وفتح اكتتابات وإرسال الاحتجاجات والقيام بإحياء يوم فلسطين في كل سنة وغيرها من الأعمال التي يشارك فيها العالمين العربي والإسلامي، كما احتج المغرب العربي على مشروع اللجنة الملكية لتقسيم فلسطين 1937م[38]. وتقلصت جماهير الحركة الصهيونية في المغرب العربي، وخاصة تونس بسبب أحداث هذه الثورة[39].

وقد لعبت الصحافة والأحزاب في المغرب العربي دورا هاما في دعم ومساندة القضية الفلسطينية على مختلف الصعد كجمع التبرعات، ورفع العرائض، والإحتجاجات وقيام المظاهرات وغيرها من وسائل الدعم والمساندة[40].

وشارك عرب المغرب العربي في المؤتمر البرلماني العربي الذي عقد في القاهرة في الفترة ما بين 7-1938/10/11م، بخصوص القضية الفلسطينية، وكان أبرز قراراته: رفض مشروع تقسيم فلسطين والتمسك ببقائها قطرا عربيا بأكملها[41].

ولعبت الأحزاب السياسية في أقطار المغرب العربي دوراً هاماً في خدمة القضية الفلسطينية، حيث عملت على حشد الشعب المغربي للإحتجاج على السياسة الصهيونية في فلسطين، وما أن أعلن العرب دخولهم فلسطين لتأديب العصابات الصهيونية حتى سارعت تلك الأحزاب لحشد الجماهير للتضامن مع الفلسطينيين ومقاطعة الصهيونية داخل البلاد، كما جمعت المساعدات المادية دعماً للجيوش

العربية المتحالفة التي دخلت فلسطين[42].

وقد شارك المغاربة في مقاومة الصهيونية عندما اندلعت الأحداث التي أعقبت مشروع تقسم فلسطين 1947م، وهرب المغاربة من خلف السدود الحديدية للانخراط في صفوف المكافحين العرب، حيث بلغ عدد متطوعي الشمال الإفريقي زهاء الخمسة آلاف متطوع، قُبل بعضهم واضطر الآخرون للرجوع من حيث أتوا بسبب الرقابة الفرنسية والإسبانية، وأصبحت القضية الفلسطينية شغل المغربيين الشاغل. وقد كتب الصدر الأعظم لمراكش الحاج محمد المغربي رسالة لعبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية أعلن فيها باسمٍ جلالة الملك تضامن الحكومة المغربية مع ملوك العرب ورؤسائهم، وكان لهذه الرسالة أثرها في نفوس العرب، كما اعتبرت من طرف الفرنسيين خرقا لمعاهدة الحماية لأنها؛ اتصال من المغرب بدولة أجنبية دون وساطة فرنسا، إلا أن الملك أكد انه لا يعتبر الحدود القائمة بين المغرب العربي والمشرق العربي إلا حدودا اصطناعية ولا يمكنه كمسلم أن يقف مكتوف الأيدي إزاء العدوان الصهيوني على فلسطين[43].

ثالثاً: جامعة الدول العربية

تابع المغاربة باهتمام كبير سير المفاوضات التي سبقت إعلان ميثاق جامعة الدول العربية، ولما أعلن الميثاق قابله الكل بسرور كبير، واعتبره الرأي العام المغربي من اكبر الإنجازات التي جرت في فترة الحرب العالمية الثانية[44].

وبقيام جامعة الدول العربية عام 1945م، من الدول العربية المستقلة، فقد أملى ميثاقها رغبة الدول العربية في تمتين الروابط التي توحد بينها، كما رمى إلى تدعيم استقلال الشعوب العربية بأسرها وتأييدها تأييدا قويا، والتعاون مع البلاد غير المشتركة من الدول العربية إلى ابعد مدى مستطاع من حيث إصلاح أحوالها وتامين مستقبلها وتفهم أمانيها وآمالها[45].

ولم يتسن لأقطار المغرب العربي أن تكون من الدول العربية المؤسسة للجامعة العربية، وذلك بسبب وضعيتها السياسية، وظروفها الخاصة التي منعت هذه الأقطار من التمتع بحريتها الدبلوماسية. وقد أعلن المغرب العربي في سائر المناسبات تعلقه بوحدة الشعوب العربية، وهو يرى فيها أحد أعمدة السلام العالمي الذي تعمل الأمم المتحدة على نشره، لكن سياسة القمع الإستعمارية انتزعت منه وسائل الاشتراك في جميع الأعمال التي كان يقوم بها إخوانه في المشرق العربي[46].

وقد خطت القضية المغربية في مدرج الجامعة وأوساطها خطى فسيحة، وأصبح شعور العرب بضرورة الاهتمام بالمغرب العربي ليقوى يوما بعد يوم، وأصبح الرأي العام يضغط على المسؤولين في الجامعة العربية، ويبعث على الاهتمام بالجناح

الغربي من الوطن العربي، وكل ذلك بفضل مظاهر القلق التي ما انفك الشعب المغربي يعلن عنها في كل المناسبات نحو العرب وأمانيهم المشتركة. كما كان رؤية حزب الاستقلال المغربي أن علاقات المغرب العربي يجب أن تكون احكم وأوفق مع الدول العربية نظراً للروابط الدينية والتاريخية والقومية والثقافية والعنصرية، وهذه العلاقة يجب أن تنتهي إلى الانضمام إلى الجامعة العربية ليتسنى للمغرب العربي والعرب جميعا أن يشتركوا في بناء صرح إسلامي عالمي وبعث نظام إنساني لخير العالم بأسره[47]. وفي عام 1947 م اجتمعت قيادات الحركة الوطنية في المغرب العربي في القاهرة لعقد مؤتمر لتوحيد وتنسيق كفاحها ورسم خططها، وانبثق عن المؤتمر لجنة سميت بلجنة تحرير المغرب العربي، حيث افتتحت لها مكتبا في دمشق، وترأس عمل هذه اللجنة عبد الكريم الخطابي، وقد واصلت الحركة الوطنية في المغرب العربي عملها الوطني في المشرق العربي المتمثل بالاهتمام بقضايا التحرر في المغرب العربي، ووجدت كل مساندة ودعم من الحركات الوطنية في المشرق العربي[48]. وفي العام نفسه شارك جمع غفير من زعماء المشرق العربي في مؤتمر المغرب العربي الذي عقد في القاهرة، وبحث قضايا الإستعمار، وكان أهم قراراته: مطالبة الجامعة العربية عرض القضية المغربية على الهيئات الدولية واستعمال كل ما لدى الجامعة من وسائل لمساعدة الأقطار المغربية الثلاث على تحقيق استقلالها، وتأييد فلسطين العربية والمطالبة بتحريرها، وكذلك حل مشكلة الطلاب المغاربة الذين يلجؤون إلى المشرق العربي بقصد إتمام دراستهم في المعاهد العربية وتذليل العقبات التي يواجهونها[49].

رابعاً: الوحدة العربية

وبخصوص فكرة الوحدة العربية، تعثر الطموح الوحدوي بسبب المشاكل السياسية الناجمة عن الحدود التي فصلت كل قطر عربي عن جاره، وما تولد عن ذلك من مصالح إقليمية ذاتية باعدت بين العرب، وجعلت المصير العربي الموحد تمنيات وأحلام، إلا أن المحن ووقع النكسات والنكبات زاد الشعور بان المصلحة المشتركة تستلزم قيام تعاون وثيق ينظمه عمل موحد، ورغم كل المعوقات وردا على التجزئة والاحتلال، كانت محاولة إبقاء فكرة الوحدة العربية حية وإحدى سمات العمل القومي في فترة ما بين الحربين، فشغلت الزعماء وقادة الفكر والجماهير، وتجلت هذه المحاولة في تبادل المساعدات والعطف بين الأجزاء العربية في صراعها مع الأجنبي، وأصبح الحدث السياسي الحاسم في أي قطر عربي يثير الجماهير في الأقطار الأخرى إثارة عفوية وبدون تفكير في الحدود والكيانات القطرية، ليؤكد بان هوية النضال الوطني هوية واحدة[50]. والوعي القومي العربي تاريخا وتراثا ومستقبلا في أقطار المغرب العربي هو عريق أصيل إذ هو وليد الإسلام ووليد التجانس الديني ووليد معارك الاستقلال، فترابط الوطن العربي بكل أقطاره، ووحدة التحديات والمصير جعلت انتصار فكرة القومية العربية أو تراجعها

قانونا يشمل جناحي الوطن العربي في حالة السلب والإيجاب، فالمشرق والمغرب العربيان سيان في حالة النهوض أو الانتكاس فيما يتعلق بالوحدة العربية[51]. كما أن فترة المد القومي جعلت الوعي القومي في المغرب يتعمق ويتعمم بصورة جعلت الشعب العربي المغربي ككل يرتبط بالقضايا العربية القومية بنفس القوة التي يرتبط بها أي شعب عربي آخر[52].

الخاتمة

تعود جذور العلاقات ما بين جناحي الوطن العربي إلى فترة تاريخية سبقت ظهور الإسلام، وأكدها الفتح الإسلامي كما أكدت تلك العلاقات العديد من المفاصل الهامة في تاريخ جناحي الوطن العربي كقضايا الكفاح والنضال ضد الاستعمار والاحتلال الأجنبي، أضافه للعلاقات التجارية والعسكرية والسياسية التي كان أبرز مظاهرها المؤتمرات والمظاهرات والاحتجاجات والعمل الصحفي الأمر الذي جعل من الصعب على أحد جناحي هذا الوطن العيش بمعزل عما يعيشه الجناح الآخر.

وقد ظهر البعد القومي بين مشرق الوطن العربي ومغربه بأبهى صوره وتجلياته في قضايا النضال والتحرر الوطني في الفترة التي تناولتها هذه الدراسة، حيث كانت معظم أقطار الوطن العربي ترزح تحت نير الاستعمار الأجنبي، وتناضل بكل الوسائل والسبل الممكنة في سبيل الحرية والاستقلال.

ولم تستطع قلة الإمكانات ولا الحدود ولا قيود المستعمر وبطشه أن تحول دون وقوف ومساندة ودعم الأقطار العربية بين جناحي الوطن العربي لبعضهم البعض، وعلى كافة المستويات رسمية كانت أم شعبية، مستندة في ذلك إلى نداء الواجب القومي وما تفرضه روابط الدم واللغة والدين والتاريخ المشترك ووحدة الآلام والآمال المنشودة قاسمهم المشترك الدفاع عن حرية الأمة واستقلالها وحقها في الوحدة والتقدم والعيش بأمن وسلام.

الهوامش

(1) محمد عابد الجابري، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 1987م ص 151-152.

(2) أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص106.

(3) صلاح العقاد، المغرب العربي: دراسة تاريخه الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص117، خيرية قاسمية، الوطن العربي بين الاتجاه القومي وواقع التجزئة في الفترة ما بين الحربين العالميتين، مجلة دراسات تاريخية، العدد (12)، دمشق 1983م، ص94.

(4) للاطلاع على تفاصيل تلك الهجرات راجع: ناديا طرشون، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، العدد (27-28)، دمشق 1987م، ص 161-182.

(5) محمد الادهمي، موقف الرأي العام العراقي من إبعاد الاستعمار الفرنسي لمحمد الخامس من حكم المغرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد (44)، بغداد 1991م، ص 41-50.

(6) محمد عابد الجابري، يقظة الوعي العربي، المستقبل العربي، العدد (87) بيروت 1986م، ص24-25.

(7) الادهمي المرجع السابق، ص 41-50.

(8) قاسمية ، الوطن العربي، ص107-108.

(9) قاسمية ، المرجع نفسه، ص108.

(10) الطاهر عبدالله، الحركة الوطنية التونسية: رؤية شعبية قومية جديدة، ط2، (د.م) 1978م، ص244-245.

(11) الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، ص244-245.

(12) المرجع نفسه والصفحة.

(13) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص167-168.

(14) القادري، مذكراتي، ص92، محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب،دمشق، 1969م ص456، علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا

وإيطاليا من الوحدة العربية،بيروت1986م، ص308.

(15) القادري، مذكراتي، ص93، الفاسي، المرجع السابق، ص 167-168، فارس، المرجع السابق، ص456.

(16) للمزيد عن ذلك راجع:

wright, john, libya, Nations of the modern world,london1969, p.140-165,segre, Claudio. G, forth shore, The Italian Colonization of Libya, London, 1979, p.80-105.

(17) للاطلاع على الاستعمار الفرنسي في الجزائر راجع:

جوان غيليسبي، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي، ط1، القاهرة 1950م، مسعود مجاهد، أضواء على الاستعمار الفرنسي في الجزائر، عمان 1960م، احمد بن بله، مذكرات احمد بن بله، ترجمة العفيف الأخضر،ط 3، دار الآداب، بيروت 1981م، عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، ترجمة فيصل عباس، ط2، دار الحداثة، بيروت 1983م.

(18) فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة 1948م، ص149-237 و330-448. نايف الرشيدات، جمال عبد الناصر في الميزان ، عمان 2003م، ص 95.

(19) فتحي الديب، المرجع نفسه والصفحة.

(20) عمر العمري، الملك الحسين بن طلال والثورة الجزائرية: دراسة في الموقف الأردني، مطبعة الروزنا، اربد 2001م، ص 17 – 84.

(21) عمر العمري، المرجع نفسه، ص103-182.

(22) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة، (د.ت) القاهرة، ص167-168. محافظة المرجع السابق، ص308. عبد الكاظم العبودي، عبد الكريم قاسم مجاهد لم ينصفه مؤرخوا الثورة الجزائرية، جامعة وهران، 2008م، ص48-70.

(23) فهد بن عبد الله السماري، المصمودي وشهادة التاريخ من تونس،جريدة الرياض،عدد 20977، 18-6- 2003م. احمد صالح العرامي، دور الجامعة العربية في دعم القضية الجزائرية، المركز الوطني للمعلومات ، الجمهورية

اليمنية 2003 م، ص 66- 72.

(24) القادري، مذكراتي ص93-95، عصام العريضي، الأمير شكيب ارسلان (1869-1946م)، مجلة تاريخ العرب والعالم، العـدد (136)، بيروت 1992، ص50-53.

(25) فارس، المرجع السابق، ص475.

(26) القادري، مذكراتي، ص96.

(27) Hourani, A,Arabic thought in liberal age, oxford university press, 1970, p. 306 – 310, Barbour, N, variations of Arab National feeling in French North Africa, middle East Journal, 1954 , p. 30 -35.

(28) القادري، مذكراتي، ص102-103.

(29) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص151-152.

(30) قاسمية، الوطن العربي، ص108.

(31) القادري، مذكراتي، ص102-103.

(32) محافظة، المرجع السابق، ص307-308

(33) عفيف البوني، الوعي القومي العربي والاحزاب السياسية في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (72)، بيروت 1985، ص103-105.

(34) خيرية قاسمية، الوطن العربي، ص108-109.

(*) شارك من المغرب العربي: محمد الملكي الناصري، محمد بنونة، عبد العزيز الثعالبي من تونس، سعيد الجزائري من الجزائر، خيرية قاسمية، المؤتمر الإسلامي العام في القدس 1931م، مجلة دراسات تاريخية، العدد (19)، (20)، دمشق 1985م، ص25-26، ويشير الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أن المهاجر الجزائري إبراهيم طفيش نزيل القاهرة عندئذ قد مثل الجزائر في هذا المؤتمر، انظر أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م ، ص152.

(35) قاسمية، الوطن العربي، ص100-110.

(36) القادري، مذكراتي، ص102-103.

(37) قاسمية، الوطن العربي، ص100-110.

(38) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص230-241.

(39) الهادي التمومي، دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (72)، بيروت 1985م، ص99.

(40) عفيف البوني، الوعي القومي العربي، ص103-106.

(41) المؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية للدفاع عن فلسطين، ط1، مطبعة عباس عبد الرحمن، القاهرة 1938م، ص139-141، أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وثيقة رقم (326)،بيروت1980م، ص 512.

(42) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص489.

(43) علال الفاسي، المرجع نفسه، ص489-490، عفيف البوني، الوعي القومي العربي، ص103-106.

(44) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص493.

(45) علال الفاسي، المرجع نفسه، ص491-527.

(46) علال الفاسي، المرجع نفسه، ص493- 497.

(47) علال الفاسي، المرجع نفسه، ص 289- 296، 497.

(48) الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، ص243.

(49) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص375-377.

(50) قاسمية، الوطن العربي، ص99-100.

(51) عفيف البوني، الوعي القومي العربي، ص89-92.

(52) إسماعيل دبش، المواقف العربية والدولية تجاه الثورة الجزائرية، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد الأول، الجزائر1994، ص27-55.